

أضواء البيان

@ 530 @ { وَمَا زَحْنُ بِمَسْبُوقَيْنِ } أي ما نحن بمغلوبين ، والعرب تقول : سبقه على كذا أي غلبه عليه وأعجزه عن إدراكه أي وما نحن بمغلوبين على ما قدرنا من آجالكم وحددناه من أعماركم فلا يقدر أحد أن يقدم أجلاً أخرناه ولا يؤخر أجلاً قدمناه .

وهذا المعنى دلت عليه آيات كثيرة كقوله تعالى { فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُ خَيْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } وقوله تعالى { إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ } ، وقوله تعالى { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَبَابٌ مُّؤَجَّجُونَ } إلى غير ذلك من الآيات .

وعلى هذا القول ، فقوله تعالى : { عَلَيَّ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ } ليس متعلقاً بمسبوقين بل بقوله تعالى : { زَحْنُ قَدَرَرْنَا بَيْنَكُمْ } والمعنى : نحن قدرنا بينكم الموت على أن نبذل أمثالكم ، أي نبذل من الذين ماتوا أمثالاً لهم نوجدهم .

وعلى هذا ، فمعنى تبديل أمثالهم إيجاد آخرين من ذرية أولئك الذين ماتوا وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : { إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَنْ يَشَاءُ كَمَا أَنتَ نَشَأُكُمْ } مِّنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ ؕ { الْآخَرِينَ } إلى غير ذلك من الآيات . .

وهذا التفسير هو اختيار ابن جرير ، وقراءة قدرنا بالتشديد مناسبة لهذا الوجه ، وكذلك لفظة بينكم . . .

الوجه الثاني : أن قدرنا بمعنى قضينا وكتبنا أي كتبنا الموت وقدرناه على جميع الخلق ، وهذا الوجه تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا } وَجْهَهُ { ، وقوله تعالى : { كُلُّ شَيْءٍ زَفَسٌ ذَاتِئْقَۃُ الْمَوْتِ } ، وقوله تعالى : { وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْعَلِيِّ الْحَمِيدِ الَّذِي لَا يَمُوتُ } ، وعلى هذا القول فقوله : { عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ } : متعلق بمسبوقين أي ما نحن مغلوبين والمعنى وما نحن بمغلوبين على أن نبدل أمثالكم إن أهلكناكم لو شئنا فنحن قادرون على إهلاككم ، ولا يوجد أحد يغلبنا ويمنعنا من خلق أمثالكم بدلاً منكم . .

وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : { إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ } وقوله أَيْسُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ذَالِكُمْ قَدِيرًا } وقوله تعالى : { إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَنْ يَشَاءُ } ،

وقوله تعالى : { إِنْ يَشَاءْ يُدْخِلْكُمْ } وَيَأْت